

الحزب الشيوعي الجزائري بين العجز والانتعاش (1936 - 1954)

The Algerian Communist Party between Deficiency and Recovery
(1936-1954)

بوسعادة خيرة

جامعة محمد بن أحمد وهران 2 (الجزائر)، boussadakhaira@gmail.com

تاريخ النشر: 2023-12-30

تاريخ القبول: 2023-12-30

تاريخ الاستلام: 2022-11-30

ملخص:

تعرضت النخب الجزائرية إلى التبعية الفكرية والتقليد من قبل الاستعمار الفرنسي، فتشكلت طبقة من المثقفين تبنت توجهات التفكير السياسي الغربي في معالجه للواقع، وسعت بعض النخب الجزائرية المثقفة المتأثرة بالفكر الماركسي والاشتراكي وقيام الأممية الثالثة بتأسيس الحزب الشيوعي الجزائري معتمدة على أطروحات الحزب الشيوعي الفرنسي باعتباره النموذج العاكس لتطلعاتها نحو الرقي والتمدن، فكان لزاما عليها انتظار فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية حتى تتحرر من الأطروحات الفرنسية. تسعى هذه الدراسة الى تحليل قدرة نخبة الشيوعيين الجزائريين على رفض الواقع وتجاوزه وتحويله تجاه حركة التاريخ وصياغة أفكار شكلت قوة ثورية بعد الحرب العالمية الثانية، وقد حتمت طبيعة الدراسة الاعتماد على المنهج التاريخي لتتبع نشاط الحزب في فترتين متباينتين، وقد حددنا إشكالية الدراسة في التساؤل التالي: هل بقي الحزب الشيوعي الجزائري في الفترة ما بين 1936-1954 ينشط ضمن قوالب فكرية مركزية مغلقة في ظل علاقة غير متكافئة بين المجتمعين (الجزائري والفرنسي) وهل اتسم نشاطه بالفعالية والاستمرارية بحيث صاغ مستقبله وصحح علاقته بالحزب الشيوعي الفرنسي بطريقة مستقلة وناجحة.

كلمات مفتاحية: النخبة: الحزب الشيوعي الجزائري: النضال السياسي: النضال العسكري: النشاط النقابي.

Abstract :

The Algerian elites were subjected to intellectual dependence and imitation by French colonialism, and a class of intellectuals formed that adopted the orientations of Western political thinking in its treatment of reality. Some of the Algerian elites influenced by Marxist and socialist thought and the establishment of the Third International sought to establish the Algerian Communist Party, relying on the theses of the French Communist Party as a model reflecting their aspirations towards progress and urbanization, so they had to wait for the post-World War II period to be liberated from the French theses. The study seeks to analyze the ability of the Algerian communist elite to reject reality and transform it towards the movement of history and to formulate ideas that formed a revolutionary force after World War II. Did the Algerian Communist Party remain active in the period between 1936-1954 within closed central intellectual templates, and was its activity characterized by effectiveness and continuity, correcting its relationship With the French Communist Party independently and successfully?

Keywords: elite; Algerian Communist Party; Political struggle; military struggle; trade union activity.

مقدمة:

اعتمدت نخب الحزب الشيوعي الجزائري منذ نشأتها على تجربة وأطروحات الحزب الشيوعي الفرنسي باعتباره النموذج العاكس لتطلعاتها نحو الرقي والتمدن، فلا يمكننا إنكار وجود اليسار في الساحة السياسية الجزائرية منذ عشرينيات القرن الماضي والمؤطر من طرف نخب قادت الجماهير وحركت قاطرة التاريخ لما حملته من أفكار وتصورات مستشعرة حاجات الجزائريين متطلعة إلى القيام بدور استثنائي في الشؤون السياسية والاجتماعية.

وقد حددنا إشكالية الدراسة في التساؤل التالي: هل بقي الحزب الشيوعي الجزائري في الفترة ما بين 1936-1954 ينشط ضمن قوالب فكرية مركزية مغلقة في ظل علاقة غير متكافئة بين المجتمعين، وهل اتسم نشاطه بالفعالية والاستمرارية بحيث صاغ مستقبله وصحح علاقته بالحزب الشيوعي الفرنسي بطريقة مستقلة وناجحة؟

تسعى الدراسة إلى تحديد مجموعة من الأهداف من خلال تحليل ورصد دور الحزب الشيوعي الجزائري في خلق ثقافة سياسية تشاركية وشرح العوامل التي أعاققت عدم وضعه رؤية بشأن المجاهدة الجادة في مواجهة الاستعمار، وعدم انسجام خطابه مع مصالح وتطلعات الجزائريين، الأمر الذي استدعى تنظيم الذات وصناعة أدوات المواجهة ووضع آليات عمل متناسب وتطلعات الشعب الجزائري، وتعتمد هذه الدراسة على المنهج التاريخي في تعقب نشأة الحزب واستعراض تطور نشاطه وتحديد التغيرات والتطورات التي مرّ بها بعد الحرب العالمية الثانية.

1. نشأة الحزب الشيوعي الجزائري:

تضافرت جملة من الأسباب والعوامل المساعدة على ظهور الفكر الاشتراكي في الجزائر نلخصها في النقاط التالية:

- التجمعات والمحاضرات التي كان يلقيها موجهو الحزب الشيوعي الفرنسي أمثال: "بول فايون"، "بيير سمار كوتيرييه" Pierre Semart Couturier، وفي هذا الصدد نذكر شهادات رجال السياسة آنذاك أمثال "بن علي بوقرط" الذي كان متأثرا بالعمل الدعائي الذي كان يقوم به مرشح الشيوعيين مازوي "Mazoyer"، وخلال زيارة هذا الأخير لتلمسان في أعقاب الانتخابات التشريعية سنة 1924 قال: "كنا مجموعة من التلاميذ في المرحلة التكميلية في مدرسة ديسيو "Décieux"، كان لنا الحظ في سماعه، فأعجبنا بفكرة تأييده حق الجزائر في الاستقلال وأحدث ذلك في نفوسنا نحن الشباب المتعطشين للحريات والعدالة حماسا." (Taleb, 1977, p.299).

هذا فضلا عن شهادة مصالي الحاج: "لقد رأينا مجيء إلى مدينة تلمسان ووهران رجال خطباء تحدثوا عن بلادنا وحرّياتنا وحقوقنا، وهم: بول فايون "Paul Vaillant" وشارل أندري جوليان "Charles André Julien". (Bouzidi, 1977, p.130)

- قراءة الجرائد: وخاصة الجرائد التالية: "La Lutte Sociale"، "Le Paria"، "L'humanité" ففي سنة 1922 كانت جريدة "La Lutte Sociale" تصدر عشرة آلاف نسخة، ليرتفع ذلك إلى عشرين ألف نسخة سنة 1925 وكان عدد من الجزائريين يقرؤون هذه الصحف بل أن بعض مقالاتها كانت تكتب بأقلام جزائرية، ففي جريدة La Lutte Sociale، كان جدير الطيب والمعروف باسم "فاسي" أحد وجوه الحركة النقابية والمسؤول في مدينة وهران عن الفرع النقابي وفرع جمعية حقوق الإنسان ونقابة المعلمين، ومن المقالات التي نشرها في جريدة "الكفاح الاجتماعي": "العمل النموذجي للحكومة البلشفية". (Meynier, 2010, p.p. 692-695) وعند تأسيس الاتحاد الجهوي لنقابات عمالة وهران، تناول الكلمة، قائلا: "رغم أن المستقبل يشوبه القلق، إلا أنه يمكننا تحسينه، إذا تحليلنا بالأمل وإذا كرشنا كل طاقاتنا من أجل العمل والتغيير." (Koulaksis, 1972, p.p.10-13)
- الخدمة العسكرية: شارك عدد من الجزائريين المجندين في الجيش الفرنسي أثناء الحصار الذي فرضته الدول الرأسمالية على النظام الجديد في روسيا، وفي هذا الصدد يقول أحد الجزائريين المدعو عمّار: "لقد كنت ضمن الفرقة العاشرة من القناصة الجزائريين، لقد أبحرنا من مرسيليا نحو القسطنطينية ومن هناك نحو أوديسا وهناك رأينا لأول مرة العدو الذي كنّا نجهله، وفي يوم من الأيام ظهر قطارا... وكان الجنود يرمون المناشير، وبعبارات بسيطة كانت تشرح معنى البلشفية وحرب التحرير... هذه القراءات أحدثت تأثيرا كبيرا على أفكارنا، وتجلت لنا بذلك أفقا جديدة، فعبارات الحرية والاضطهاد كان لها صدى ومنذ تلك الفترة أصبحت شيوعيا وسأظل كذلك حتى الموت." (Bouzidi, 1977, p.13)
- إرسال الحزب لعدد من الجزائريين للتعليم والتكوين في مدرسة الشرق بموسكو: ومنهم "العربي بوهالي"، الذي أصبح فيما بعد أميننا عاما للحزب الشيوعي الجزائري، هذا فضلا عن محمود لطرش، وبادسي محمد، ومن ضمن إشارات الحزب الشيوعي الجزائري التي تلقت تكويننا وتربصا في مدارس الكومنترن بموسكو، نذكر محمد بادسي سنتي 1926. 1928، سيد أحمد بلعربي المدعو بوعلام سنة 1928، بن علي بوقرط خلال سنتي 1932. 1934. (Merangé, 2022, p.34)

• من النضال النقابي إلى النضال السياسي: أنشئ الحزب الشيوعي الجزائري في ظروف ارتقى النضال النقابي إلى نضال سياسي في فترة الثلاثينيات، فقد أشار "تواتي الهواري" أن النقابيين كانوا يظهرون ويختفون دون أن يتركوا أثارا ولم تمنحهم فرنسا فرصة تولي المسؤولية في النقابة ماعدا في قطاع الموانئ، إلا أنه مع 1935 ظهر جيل جديد من المناضلين أكثر عددا وتماسكا امتد نضالهم النقابي إلى العمل السياسي وهو ما شكل سمة جديدة لذلك الجيل مقارنة بالجيل الذي سبقه. (Touati, 1981, p.16)

فقد شهدت تلك الفترة انفجارا كبيرا لحركة الإضرابات سنة 1936 عبر جميع أنحاء الجزائر فشكلت بذلك وسيلة من وسائل تحدي الاستعمار والتمرد عليه، مما أثر على المعمرين وجعلهم يستخلصون عدة حقائق نلخصها في تقرير نقابة التجار والصناعيين في مدينة وهران حيث أجرت هذه النقابة مقارنة بين إضرابات جوان وأكتوبر جاء فيها: "ففي جوان 1936 كانت الإضرابات تستهدف تحسين الأوضاع المادية من خلال رفع الأجور، أما اليوم، فإن مطالبهم التي لا معنى لها اتخذت منحى سياسي يقوم على الصراع بين الطبقات وزادت من روح الكراهية اتجاه أرباب العمل." (L'union commerciale de l'Oranie, 1936, p.2)

وبذلك يتجلى لنا طابع العنف الذي اتسمت به تلك الإضرابات واستمرارها رغم ارتفاع الأجور، وأنها لم تكن تستهدف تحسين الوضع المادي للجزائريين وإنما جاءت نتيجة وعي وشعور بضرورة وضع حد لهيمنة المستعمر وهذا الوعي هو الذي زاد في تعميق الهوية والصراع بين المجتمعين، كما فاجأت إضرابات الفلاحين كل من الكولون والإدارة واعتبرتها الشرطة نتاج الدعاية الشيوعية بين صفوف الأهالي. (Abid, 1985, p.29)

وقد ساعد في تأجيج هذه الإضرابات، المطالب المقدمة من طرف المؤتمر الإسلامي في الفترة ما بين 1936. 1938 والمتمثلة في الحقوق السياسية والمساواة بين كل سكان الجزائر، هذا فضلا عن تأثير الجبهة الشعبية على النشاط النقابي وإعطائه دفعا قويا، فقد نصت الإصلاحات التي وعدت بها حكومة بلوم حسب اتفاق "ماتنيون" جوان 1936 على: (DE Bayac, 1972, p.248)

○ الحرية التامة للعمل النقابي .

○ رفع الأجور بنسبة تتراوح ما بين 7% و 15%.

○ منح عقود عمل جماعية.

وقد رفض اليمين الفرنسي المتطرف والمتمثل في رؤساء البلديات مشروع بلوم فيوليت ، مما أدى إلى استياء الشيوعيين، وفي هذا الصدد كتب زناتسي "Zenattci" مقالا بعنوان "وضع محزن"، جاء فيه: "لطالما حلمنا بوفاق ودي وباتحاد مقدس بين الجنسين... وحتى تعيش الجزائر، يجب أن لا نفرق في المستقبل بين مختلف العناصر." (Zenattci, 1936, p.01)

وبذلك، شكل الحزب الشيوعي بدعم من الجبهة الشعبية وفدا للاحتجاج على رؤساء البلديات الحاقدين على الجبهة الشعبية والهادفين إلى تقسيم الجزائر إلى مجموعتين اثنتين متنازعتين، وتشكل من القطاع الوهراني وفدا من الفرنسيين ضم "زناتسي" السكرتير العام للحزب الشيوعي وأنقاد "Angade" شيخ بلدية المحمدية، أما الوفد الجزائري المتجه إلى فرنسا كذلك، فقد ضم كل من السادة : شاذلي، لالوت، بشطارزي وذلك حتى يدافعوا أمام الشخصيات الفرنسية البارزة على مطالب الجزائريين المتمثلة في التصويت على مشروع بلوم فيوليت (Archives, ANOM, 1938)

تأسس الحزب الشيوعي الجزائري بعد انعقاد مؤتمر الحزب الشيوعي الفرنسي في مدينة Villeurbanne، حيث قرر تحضير أول مؤتمر للحزب الشيوعي الجزائري الذي انعقد في الفترة ما بين 17 و 18 أكتوبر 1936، وضمّ ذلك الاجتماع خمسة آلاف من الشيوعيين، بلغ عدد ممثليهم 129، وخمسة وستون منهم من العمال، وأربعة من صغار التجار وستة وخمسون من الموظفين والمثقفين. (Taleb, 1977, p.305)

وقد جاء تأسيس الحزب الشيوعي الجزائري كاستجابة لمقترحات المستمرة للكونغرس والمقدمة للحزب الشيوعي الفرنسي في الماضي قدما نحو تعريب التنظيم الشيوعي الجزائري وتحويله في المستقبل إلى فرع من الأهمية الشيوعية وتقديم المساعدة لأعضاء الحزب الشيوعي الجزائري من خلال إرسال مناضلين من الحزب الشيوعي الفرنسي حتى يكونون قادرين على تطبيق خط الكومنترن، كما أكد أن تحول هذا التنظيم الجزائري إلى فرع من الكومنترن منذ 1929 لا يلغي واجب الحزب الشيوعي الفرنسي الاستمرار في مساعدة الحزب الشيوعي الجزائري بشكل منهجي ومستمر. (Ruscio, 2018, p.19)

ومن الشخصيات التي أرسلها مورييس توريث "Thorez" سنة 1933 إلى الجزائر بسبب انتقادات الكومنترن الوفد الذي كان بقيادة لوسيان مونتجوفيس "Lucien Montjauvis" والذي أعد بيانا عن الوضعية الكارثية للحزب في المستعمرة بسبب غياب الحوار والنقاشات السياسية والناجم عن عدم مبالاة الناشطين الفرنسيين في الحزب الشيوعي، وبالتالي لاحظ عدم فعالية نشاطهم الدعائي بين صفوف الأشخاص الخاضعين لقانون الأندجينا قائلا: "لاحظنا انحرافات في صفوف رفاقنا، لديّ قناعة راسخة بأن التيارين الاستعماري والوطني موجودان، ففي مدينة عنابة وجدنا على سبيل المثال

معظم الرفاق يحتقرون ليس الأهالي فحسب بل حتى العمل الذي يجب أن يضطلعوا به بينهم. أي الجزائريين داخل الحزب. فهم يتخذون قرارات استعجالية وبكل سهولة، وهذا ما جعلنا نستنتج عندما وقفنا على الانجازات أنهم لم يفهموا شيئا..." (Ruscio, 2018, p.123)

2. نشاط الحزب الشيوعي:

مرّ نشاط الحزب الشيوعي بمرحلتين متباينتين، أعادت تصميم علاقته بالسياسة:

1.2. مرحلة التفكير المجرد:

إذا كان التفكير المجرد نوع من التفكير الذي يركز على العموميات والشموليات ويتجاهل التفاصيل الصغرى، فقد شكل هذا التفكير في البداية السمة الأساسية للفكر الشيوعي الجزائري الذي استوحى المبادئ والبرامج من الحزب الشيوعي الفرنسي، فابتعد بذلك عن تلمس الحاجات الحقيقية للمجتمع الجزائري حيث كان أسير القوالب النظرية التي قام عليها الفكر الشيوعي والتي لا تتماشى والمشكلات الرئيسة التي يعانها المجتمع الجزائري، فالقوالب النظرية الغربية كانت تركز أساسا على التحليل العلمي الجدلي للواقع الاجتماعي للمجتمعات الغربية في مرحلة الصناعة والتي نجم عنها صراع طبقي، فكان الهدف هو القضاء على الاستغلال الطبقي واستلاب العمل.

وفي هذه المرحلة، سعى الحزب الشيوعي الجزائري إلى اقتناص الفرص المواتية من أجل تدعيم نفوذه وتوسيع قاعدته الشعبية من خلال استغلال مشروع "بلوم فيوليت" كورقة رابحة، وهذا ما صرح به السيد "طالب عبد السلام" لمراسل صحيفة "Express" عند استفساره عن مدى نجاح الحزب الشيوعي في تجنيد المثقفين الجزائريين في صفوفه قائلا: "رغم أن الشيوعية تتعارض مع الإسلام، فإن هذا الحزب في الوقت الحالي يجد الأرضية الملائمة في الجزائر بسبب الفقر الذي يعاني منه المسلمون، وأحسن وسيلة لمناهضته هو تحسين الأوضاع المادية والمعنوية للأهالي" (Archives, D.A.W.0, 1937)، وبذلك عرف هذا الحزب أوج نشاطه مع وصول الجبهة الشعبية إلى الحكم في فرنسا، مما يسّر نشاطها وسط العمال الجزائريين والأوروبيين وجعلها تدشن صفحة في عملية التنظيم النقابي العمالي خلال النصف الثاني من عقد الثلاثينيات وقبل اندلاع الحرب العالمية الثانية.

وإذا رجعنا إلى المؤتمر الخاص بالحزب الشيوعي المنعقد في شهر أكتوبر 1936، نلاحظ أنه تم التصويت على بيان يشير إلى الوضعية التعسة للجزائريين، وادّعوا أنهم حلفاء الزعماء الوطنيين الجزائريين أمثال الأمير عبد القادر، المقراني، الأمير خالد في تطرقهم لمسألة الوطنية، وأكدوا أنهم لن

يتخلوا عن هدفهم النهائي المتمثل في تحرير الشعب الجزائري من اضطهاد الامبريالية (Taleb, 1977, p.450) ، هكذا لم يشر الحزب الشيوعي إلى مسألة الاستقلال، ويرجع بعض المؤرخين ذلك إلى نسبة التمثيل داخل هذا الحزب بحيث كانت تتمثل في واحد مقابل ستة من الأوروبيين، هذا فضلا عن وصول الجبهة الشعبية إلى الحكم في فرنسا، إذ كانت مدعومة من طرف الحزب الشيوعي الفرنسي. (Bouzidi, 1977, p.450).

وكان هذا الحزب يهدف إلى الاستقلال عن الحزب الشيوعي الفرنسي، بحيث أعلن أحد مسؤوليه "عمار أوزقان" أمام مؤتمر الحزب الشيوعي الفرنسي المنعقد في شهر جانفي 1936: "إن استقلالية الحزب لا تعني القطيعة والتفرقة، بل على العكس من ذلك فإن مسؤولية الحزب الشيوعي الفرنسي هي مواصلة تقديم المساعدة لنا، كما ذكر زميلنا توريث "Thorez" (Bouzidi, 1977, p.450)، ومن ثم لم يكن الحزب الشيوعي يدعو إلى الاستقلال، ففي نظر زعمائه "لا يمكن تصور استقلال الجزائر دون تحالف فرنسي - جزائري في مواجهة الفاشية العالمية المتعطشة إلى الغزو الاستعماري وأنه من الجنون الدخول في لعبة التحريض الممارسة من قبل هذه الفاشية من أجل الحصول على الاستقلال" (Sivan, 1976, p.97).

ويبدو أن الجزائريين بعد سنتين من نشاط هذا الحزب وازدواجية مواقفه، جعلهم يكتشفون الروح الانتهازية لأعضائه، وهذا ما يتجلى من خلال الرسالة التي بعث بها أحد أعضاء الحزب الشعبي الفرنسي وهو المدعو "زوبير" إلى سكرتير فيدرالية الحزب، جاء فيها: "إنني لم أعد أوافق على السياسة الفرنسية اتجاه المسلمين والمنتبهة من طرف الحزب، وأتأسف عن تقديم استقالي بسبب الموقف المعادي الذي اتخذته الحزب تجاه مسألتي الإدماج والوحدة بين العنصرين: الفرنسي والمسلم، عليكم أن تتذكروا الخطاب الذي ألقيته خلال المؤتمر الأول المنعقد بمدينة الجزائر يومي الثاني والثالث من شهر جانفي 1937 حيث أشرت إلى ديماغوجية مشروع "بلوم فيوليت" الذي يمنح حق الانتخاب وليس المواطنة، واليوم أستنتج بكل مرارة كيف أن خطباء هذا الحزب يقفون موقف شيوخ البلديات، فقد رفض هذا الحزب انتخاب الأهالي المسلمين مثل المثقفين والموظفين وقدماء المحاربين الذين أفنوا حياتهم في خدمة الوطن، ولاحظت أنه كلما تمّ الحديث عن إدخال مجموعة من الفرنسيين المسلمين في الهيئة الانتخابية الأوروبية حدث ارتجاج، وكأن السيادة الفرنسية في خطر من من؟ لهذا قبل أن أكون عضوا في الحزب أوجب عليّ النضال من أجل كرامتي. (Oran Républicain 17 Février, 1938)

بذلك يتجلى لنا من خلال هذا التصريح، أن الشعور بقيمة الكرامة يتجسد في كونه شعور داخلي بقيمة الذات، وقد أكد ديننا الحنيف على أصالة الكرامة الإنسانية في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (سورة الإسراء، الآية 70)، وفي هذه المرحلة فشل الحزب الشيوعي الجزائري في تعبئة الشرائح الاجتماعية ويعود ذلك أساسا إلى عاملين: "التشكيلة الاجتماعية، بحيث كان يضم أساسا عمال المدن، رغم بعض المحاولات التي قام بها في الريف، كما أن العمال الذين قام بتعبئتهم كان أغلبهم من الأوروبيين." (Demia, 1974, p. 29)

ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية أصبح الحزب الشيوعي الجزائري يحمل تدريجيا أطروحة "موريس توريز": "الجزائر أمة في طور التكوين" ففي مدينة الجزائر، ألقى "توريز" خطابا سنة 1939، جاء فيه: "يوجد أمة جزائرية في طور التكوين، تشمل حوالي عشرين عرقا." (Siblot, 1989, p.69) هكذا لم يكن اليسار الفرنسي يحمل مشروعا مناوئا للإمبريالية، فقد نظّر السكرتير الأول للحزب الشيوعي الجزائري "موريس توريز" لفكرة عدم وجود أمة جزائرية، وفي هذا الصدد يرى "ثنيو" أن أطروحة "توريز" تهدف إلى "تفادي إمكانية ارتقاء الجزائريين إلى مرتبة مواطنين تخاطبهم قوانين الدولة الحديثة... وتأجيل مسألة الاستقلال والمواطنة والتحرر التام للجزائريين على أساس غياب الأمة"، (ثنيو، 2015، ص. 497)، وقد روج لهذه المقاربة من عمالة وهران أحد نشطاء الحزب الشيوعي المدعو "قدور بلقايم" قائلا: "إن الأمة الجزائرية لا يمكن أن تتشكل دون اتحاد مع الأمة الفرنسية." (Agéron, 1986, p.40)

إن مثل هذا التصريح الصادر عن نخبة الشيوعيين الجزائريين، يعني أن خط الحزب الشيوعي الجزائري أصبح يصب في نظرية "توريز" مما جعله يعيش على هامش الحركة الوطنية منذ اندلاع الحرب العالمية الثانية إلى اندلاع الثورة التحريرية، وهي كذلك مقاربة تسعى إلى ربط مصير الجزائر بفرنسا بحيث يكون تكوين الأمة الجزائرية على ساعد الأقلية الفرنسية، وخضوعها لبراديغم المشروع الاستعماري الفرنسي وبالتالي تحديد نمط وعيها وسلوكها والتلاعب بوعيها وتبعيتها السلبية وإضعافها وبالتالي تقزيم دورها وتحويلها عن مهمتها داخل المجتمع الجزائري وانحيازها للمستعمر.

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية ومظاهرات الثامن ماي 1945، ازدادت عزلة الحزب الشيوعي الجزائري عن الجزائريين عامة والحركة الوطنية خاصة، فلم يتوان عن التشهير بزعماء الحركة

الوطنية وتحميلهم مسؤولية مجازر الثامن ماي التي اعتبرت مؤامرة فاشية، ووصف "عمّار أوزقان" قادة حزب الشعب بالمجرمين وعملاء الفاشية. (Agéron, 1979, p.575)

هكذا اتسمت هذه المرحلة بفضّل الحزب الشيوعي، لأن أربعة ملايين من الجزائريين لم يجدوا في برنامجه وبكل موضوعية ما يهمهم، لأن مشكلة الجزائريين لا تتمثل أساساً في الحصول على نفس الأجور، ولا المناصب في الإدارة الاستعمارية، أو أن يصبحوا نواباً في البرلمان الفرنسي... إن مشكل هذه الشرائح، هو كيفية استعادة الثقة في نفسها لوضع حد لتلك الوضعية، كما أن مشكلتهم هي كيفية ممارسة السياسة واستخدام طاقتهم النضالية لتحقيق مصالحهم. (Bouzidi, 1977, p.153)

كما أن التركيبة الاجتماعية للحزب الشيوعي الجزائري، أدت إلى تبعيته للحزب الشيوعي الفرنسي، ومن ثمّ لم يستطع هذا الحزب القيام بدور طلائعي للفئة الشغيلة أو القيام بوعي ثوري واضح ضمن الشرائح البروليتارية في المدن والأرياف، حيث أن هذه الأخيرة أصبحت تحت إدارة البورجوازية الصغيرة. (Demia, 1974, p.29)

2.2. مرحلة المرونة:

اتسمت هذه المرحلة بمناهضة الاستعمار، وقد كان لا بد للحزب الشيوعي الجزائري الذي كان يعي ضعف قاعدته الشعبية وعدم قدرته على التأثير في مجرى الحياة السياسية والفكرية بسبب تأثيره الضعيف في أوساط الشعب، أنه لا يزال تياراً جديداً يسعى إلى الانطلاق من جديد من خلال محاولته فهم الواقع الطبقي ببعديه الاقتصادي والاجتماعي غير مفصول أو منعزل عن البعد السياسي، لم تعد نخبة الجزائرية قادرة على هضم القوالب الفلسفية المغلقة وبمنظرة سياسية جديدة ربطت نضالها بإطاره الحقيقي المتمثل في الاستعمار، وكانت ترى أن عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية عالم جديد يشهد تحولات عميقة، وهو ما ألزمه الانطلاق بمفاهيم تتطابق مع الواقع وأن تشتمل فك النضال الطبقي عن بعده السياسي التحرري، وأدت نهاية الحرب العالمية الثانية إلى تحول ديموغرافي واضح في صحافة الحزب، فقد سمحت مغادرة العديد من نواب الحزب الشيوعي الفرنسي لفرنسا من حصول الحزب الشيوعي الجزائري على إدارة صحيفة الحرية الأسبوعية "La Liberté"، وهو ما منحه ميزة السرعة في تغطية انشغالات وقضايا النقابات العمالية (Jurquet, 1973, pp. 387-393)، كما شغلت هذه النخبة مناصب رئيسية مكنها من اكتساب خبرة وتجربة وبالتالي القدرة على تسليق التسلسل الهرمي للحزب كما هو موضح في الجدول أدناه:

جدول 1

التركيبة العرقية لقادة الحزب الشيوعي الجزائري ما بين 1946 - 1952

الانتماء العرقي لقادة الحزب الشيوعي الجزائري: الجزائريون والاوروبيون							
المؤتمر السادس للحزب فبراير 1952		المؤتمر الخامس ماي 1949		المؤتمر الرابع للحزب أفريل 1947		المؤتمر الثالث للحزب مارس 1946	
الاوروبيون	الجزائريون	الأوروبيون	الجزائريون	الاوروبيون	الجزائريون	الاوروبيون	الجزائريون
2	3	2	3	1	3	1	3
4	8	3	7	8	9	6	7
17	30	24	30	25	23		
المكتب السياسي		المكتب السياسي		المكتب السياسي		المكتب السياسي	
اللجنة المركزية		اللجنة المركزية		اللجنة المركزية		اللجنة المركزية	

المصدر: Sivan, communisme et nationalisme, p163

وفي القطاع الوهراني، بدأ الحزب الشيوعي الجزائري في تكثيف نشاطه، حيث عقدت اللجنة الجهوية للحزب اجتماعا سنة 1947 حضره "زنتاسي" (Bulletin d'information, 1947, p.03) واتخذت قرارات في غاية الأهمية، تمثلت في:

- تكثيف عملية الانخراط في الحزب.
- توسيع نشاط الحزب ودعايته خاصة في المناطق الريفية.
- تقديم دروس باللغة العربية لإطارات الحزب قصد تكوينهم.

3. الحزب الشيوعي والثورة:

لقد اختلفت النخبة الجديدة عن الجيل السابق الذي شكله الحزب الشيوعي الفرنسي وفق معايير وبذلك يمكن اعتبارها وجوها شابة جديدة كان لها تأثير على تاريخ الشيوعية في الجزائر خلال العقود التي تلت، بحيث أنهت هيمنة العنصر الأوروبي على الحزب وعلى المشهد السياسي من خلال سعيها الدؤوب في توسيع قاعدتها الشعبية، ومن بين تلك القيادات، نذكر بشير حاج علي الذي أصبح عضوا في الحزب الشيوعي الجزائري منذ شهر أوت 1945 وتولى رئاسة لجنة العفو عن ضحايا القمع إثر أحداث الثامن ماي 1945، فكان هذا السلوك نوعا من التكفير عن مواقف الحزب المناوئة للحركة الوطنية.

هذا بالإضافة إلى "صادق هجرس"، وهو أحد الشخصيات المهمة في الثورة الجزائرية والذي كان رئيسا لجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا عام 1950 وانضم إلى الحزب الشيوعي الجزائري سنة

1951 ثم انتخب عضوا في اللجنة المركزية للحزب في فبراير 1952، ثم في المكتب السياسي سنة 1955، ومديرا لمجلة "التقدم" Progrès. وكان قد انضم إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية سنة 1944- غير أنه ترك الحزب سنة 1949 نتيجة الأزمة البربرية والانتهاكات التي طالت العديد من أعضائه، خاصة أن العديد منهم طالبوا الحزب مراعاة المفهوم التعددي للأمة الجزائرية، وقد أجبره حل الحزب الشيوعي سنة 1955 إلى التوقف عن نشاطه كطبيب وبدأ منذ السنة الموالية في تنظيم انخراط مناضلي الحزب في جبهة التحرير الوطني رفقة بشير حاج علي. (Hadjeren, 2012)

غير أن العديد من أعضاء الحزب الشيوعي الفرنسي قادوا النضال الثوري إلى جانب مناضلي الحزب الشيوعي الجزائري الذين شكلوا شبكة لحرب العصابات سميت "مقاومو الحرية أو combattant de la liberté وفي شهر ماي من سنة 1955 التقى "عبان رمضان" أحد قادة الثورة مع أعضاء الحزب الشيوعي الجزائري الذين كانوا يرغبون في الانضمام إلى الثورة، وفي يوم 19 ماي كان اللقاء مع الطلبة واتفق بشير حاج علي والصادق هجرس مع حزب جبهة التحرير الوطني على أن يكون النشاط السياسي للحزب الشيوعي الجزائري مستقلا. (Hadjères, 2004)

أثناء اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر، تفاجأ الحزب الشيوعي الجزائري كبقية تيارات الحركة الوطنية، غير أنه كان يشعر من خلال الجو العام السائد أن أحداثا مهمة وشبكة الحدود وباعتباره أحد الفواعل التاريخية آنذاك وقف مترددا مع أي جهة يجب أن يتعامل، فقد صادف ذلك الحدث أن كان "بشير حاج علي" سكرتير الحزب الشيوعي الجزائري برفقة المعلم جون غالان Jean Galland في جولة دعائية إلى منطقة القبائل، وفي تحليله للمشهد السياسي قال "حاج علي": "أنهم ليسوا المصاليين، ولا حتى المركزيين لأن الطرفين مشغولان بإقصاء وإبعاد بعضهم البعض، وبالتأكيد أستبعد الحزب الديمقراطي للبيان الجزائري الذي نعتقد أنه نسي عبارات البيان"، (Ruscio, 2019, p.266). والجدير بالذكر أنه منذ 1947 حدث تطور داخل الحزب الشيوعي الجزائري الذي تبنى في مؤتمره الرابع تقرير سكرتيه الأول "العربي بوهالي" حيث اقترح هذا الأخير فكرة تحويل الجزائر من مستعمرة فرنسية إلى بلد حر قائلا: "... إن ذلك يتطلب من الحزب ميدانيا تشكيل "الجبهة الوطنية الجزائرية الديمقراطية من أجل الحرية والأرض والخبز" (Bouhali, 1947, p.15).

لقد استمر الحزب في هذا الخط، ويتجلى لنا ذلك بكل وضوح خلال مؤتمره السادس في الفترة ما بين 21-23 فبراير 1952، حيث تبنى تقريرا حمل عنوان "عمل موحد على التراب الوطني من أجل جزائر حرة مستقلة" وكان تصريح "العربي بوهالي": "من الواضح أن الانشغال الأول لشعبنا هو العيش

في كنف الحرية والاستقلال، لهذا نضع ضمن أولوية اهتماماتنا النضال من أجل التحرر ومن أجل استقلال حقيقي" (Ruscio, critique, 2019, p.41)

الملاحظ أن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الجزائري أصبحت تتكون سنة 1947 من 25 أوروبي و23 من الجزائريين، في حين كان المكتب السياسي يضم 9 من الأوروبيين و8 من الجزائريين هم: العربي بوهالي، عمار أوزقان، رشيد داليبي، أحمد محمودي، شريف حماد، أحمد خلاف، بوعلي طالب، عبد الحميد بوضياف، أما سكرتير الحزب فكان بول كابلير و Paul Caballero، وعشية الحرب التحريرية أصبح عدد المنخرطين في الحزب يتراوح ما بين 11 ألف و12 ألف عضوا، بحيث شكل المسلمون نسبة 60% وبذلك أصبح القوة السياسية الثانية بعد حركة انتصار الحريات الديمقراطية و بلغ عدد المنخرطين في الحزب 25 ألفا. (Ruscio, critique, 2019, p.39)

كانت النخبة الشيوعية على علم بأن حظوظها في كسب المزيد من المنخرطين تبقى ضئيلة وخاصة سنة 1948 حيث بدا أن الحزب سيفقد شعبيته بسبب اعتراف الاتحاد السوفيتي بدولة إسرائيل وهذا ما جعل مسؤولو الحزب يتدخلون لدى اللجنة المركزية للحزب بهدف تصحيح الخط السياسي من خلال البحث عن الوحدة مع الأحزاب الوطنية، ونتيجة لذلك انخفض قراء جريدة "Liberté" في عمالة وهران. (Bulletin d'information, 1948, p.07)

فقد استغلت نخبة الحزب الشيوعي الأزمة الداخلية التي كان يعيشها حزب الشعب لاجتذاب أعضائه مشيرة إلى المزايا والأمن التي يمكن أن يتمتعوا به في حزبهم كونه حزبا معترفا به من طرف الحكومة الفرنسية وأن نشاطه المناهض للاستعمار لا يواجه أية عراقيل، فراح يقتنص المناسبات والظروف ومنها على سبيل المثال ما حدث في مدينة وهران حين زيارة رئيس الجمهورية الفرنسية لهذه المدينة، حيث قام بعض الشبان الجزائريين في حي "الحمري" وبتحريض من حزب الشعب برفع العلم الأخضر متظاهرين في بعض أنحاء الحي، مما جعل السلطة تقدم على اعتقالهم، فاستغل الحزب الشيوعي هذا الحدث وقام بمحاولات من أجل إطلاق سراحهم ووفق في مسعاه، وبذلك يبدو لنا قدرة هذه النخبة على تمرير رسالة إلى الجزائريين، كشفت من خلالها عن قوتها وفعالية نشاطها. (Bulletin d'information, 1949, p.04)

عقدت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الجزائري في مجال البحث عن الوحدة مع الحركة الوطنية الجزائرية اجتماعا يومي الحادي عشر والثاني عشر من شهر نوفمبر 1950، تمخض عنه صدور "ميثاق الاتحاد والعمل" الذي قدمت نسخة منه إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بهدف تأسيس جبهة وطنية ديمقراطية هدفها الاستقلال الوطني

للجزائر وتأسيس جمهورية ديمقراطية جزائرية لها دستورها وبرلمانها وحكومتها، وتهدف إلى: (أوعامري، 2009، ص.309)

- الدفاع عن حرية التعبير.
- إطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين التقدميين.
- إعادة الجزائريين من الفيتنام.
- ترسيم استعمال اللغة العربية، مع تدريسها إجباريا في كل المستويات.
- حرية المعتقد واستعادة أملاك الحبوس للمجموعات الدينية المسلمة.
- إلغاء البلديات المختلطة في أقاليم الجنوب.

إن الوحدة بين الحركة الوطنية توطدت آنذاك بسبب الاعتقالات والتنكيل والاستفزاز البوليسي الممارس ضد الجزائريين والقمع، ومن هنا ظهرت هذه الجبهة "الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية" في ظروف سادها القمع الاستعماري وإصدار فرنسا أحكاما قاسية تدل على تماديها في طغيانها، وفي هذا الصدد أسهمت لجنة مساعدة ضحايا القمع سنة 1948 في التقارب بين الأحزاب الوطنية سنة 1951 وتجلى ذلك في خطابها المشترك والذي جاء فيه: "إن القمع النازل على الشعب الجزائري قد ازداد منذ سنة 1947 خاصة وتمثل في الاعتقالات، البؤس الاقتصادي... والعقوبات الفادحة التي تنزلها المحاكم..." (المنار، 1951، ص.2)، وفي إطار هذه المواقف الوجدانية، قدّم نواب حركة انتصار الحريات الديمقراطية والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري والشيوعيون في المجلس الجزائري سنة 1951 مشروع لائحة يتضمن حالة المعتقلين السياسيين، في المدن التالية: الأصنام، الأغواط، ووهران وألحوا على المجلس إنهاء تلك المأساة، كما طالبوا بضرورة إجراء بحث حول السجون الجزائرية، (المنار، 1951، ص.3) وليس من الغريب أن يساهم التعليم الرسمي في تفوق الجيل الجديد بشكل عام على الجيل السابق، فبينما كان الشيوعيون الجزائريون الأكبر سنًا يحملون عمومًا شهادة مدرسية، تلقى الوافدون الجدد التعليم بالثانوية أو حملوا شهادات جامعية خاصة المجندين ضمن خلايا الحزب الشيوعي بجامعة الجزائر، ومنذ شهر نوفمبر 1950، حدث تقارب بين اللجنة المركزية لـ PCA و MTL و UDMA واقتروا وضع ميثاق للوحدة والعمل [ميثاق الاتحاد والعمل]، وكان الهدف منه تشكيل جبهة ديمقراطية وطنية للنضال من أجل الاستقلال وتأسيس جمهورية جزائرية ديمقراطية لها دستورها وبرلمانها وحكومتها، غير أن منطق الوحدة لم يكن واضحاً لدى زعماء الحركة الوطنية، فعلى سبيل المثال، لم ير القادة المحليون لـ MTL في مدينة سكيكدة أي معنى للوحدة مع

مجموعة لا تمثل مجتمعهم في الوقت الذي يتمتع فيه حزبهم بدعم جماهيري كبير (Agéron, 1980, pp. 219-238).

وبذلك، لم تعمر تلك الجبهة طويلا، ففي الوقت الذي دعت فيه كل من حركة انتصار الحريات الديمقراطية والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري والعلماء من خلال تصريح مشترك الشعب الجزائري إلى مقاطعة انتخابات (07 أكتوبر 1951) - إلا أنه على حد قول توفيق المدني - "حدث ما لم يكن في الحسبان، فقد قررت الإدارة العليا للحزب الشيوعي المشاركة لا لكي تنال أصواتا أو تفوز بعدد من النواب، وإنما لكي تسمع صوتها للشعب وتقول له كلمتها الصريحة أثناء معركة الانتخابات، فساءت الصلة بيننا..." (المنار، 1952، ص.1).

حيث استمر الموقف الضبابي للحزب الشيوعي الجزائري، والذي لم ينتقد علانية تصريحات قادة الحزب الشيوعي الفرنسي، ففي رسالة موجهة من طرف "موريس توريز" بتاريخ 25 أكتوبر 1956 يؤكد فيها أنه لا يمكن التعامل مع المسألة الاستعمارية كجزء من كل أكبر وهو جزء يمكن للآخرين تقديم تنازلات بشأنه"، لم يندد الحزب بهذا التصريح مما جعله يدفع الثمن باهظا حيث وجهت له التهم خلال مؤتمر الصومام 1956. (Manceron, 2018, p.96).

خاتمة:

أيقنت هذه النخبة الجزائرية، أن إستراتيجية المخرج تعد أحد أبجديات وأصول التفكير السياسي وأن غيابها من شأنه أن ينجم عنه نتائج وخيمة، وأن الاختيارات السياسية التي دافعت عنها كان من الصعب عليها في البداية التخلص منها مما أفرز تنازلات وتضحية وهو ما جعلها تدفع الثمن باهظا، تجلى في انفصالها عن وسطها وثقافتها لأنها تأثرت بثقافة الحل الوسط، وإيماننا منها باستراتيجية المخرج تبنت سياسة جديدة تركز في النضال على القاعدة الجماهيرية الكادحة قصد تحويلها من قوى مبعثرة إلى وحدة نضالية متصاعدة ووحدية بعد وعيها بالتناقض الصارخ بين الممارسات والمبادئ الإنسانية التي لم يف بها العديد من مثقفي اليسار الكولونيالي بحيث الأقوال كانت تبتعد عن الأفعال حين تطبيقها على أرض الواقع.

لقد أدركوا أنهم مارسوا خلال المرحلة الأولى السياسة بطريقة مجردة بعيدا عن وضع برامج أو مشاريع ومبادرات منبثقة من الواقع الجزائري، تعالج مشكلاته ومن ثم تخلق شروط التغيير المنتظرة، فكانت عاجزة على التأقلم مع المستجدات والمتغيرات حولها، وبدلا من أن تنتج شروط التحول، بقيت ضمن قوالب غربية مغلقة قزمت وأخلت بأهمية وجودها، لأن تلك القيم التي استلهموها من الحداثة

الغربية لم تكن تنسجم مع البنيات والأحوال المجتمعية والقيم والأنماط الثقافية السائدة، أي أنها كانت تتناقض في العمق مع الواقع المعاش للجزائريين.

قائمة المصادر والمراجع:

1. جريدة المنار، (1951)، 31 جويلية.
2. نور الدين، ثنيو. (2015). إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، مصر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
3. مصطفى أوعامري، مصطفى. (2009). المقاومة السياسية الوطنية بعمالة وهران ما بين 1942 . 1951، تجربة التحالفات وإرهاصات الثورة الجزائرية، دكتوراه في تاريخ الحركة الوطنية والثورة، جامعة وهران.
4. Ahmed, ABID. (1985). Le mouvement syndical en Algerie 1930-1942, Thèse pour Doctorat Doctorat 2ème cycle, Alger.
5. Ahmed, KOULAKSIS. (1972). Le mouvement Ouvrier en Algérie d'après LA Lutte Sociale, Paris.
6. Abderrahmane, BOUZIDI. (1977). Le projet social Algérien : Genèse et évolution, OPU.
7. Alain, Ruscio, (2019). le parti communiste Algérien de l'Algérie de l'après –libération à la veille de la guerre d'indépendance 1946-1954, Revue d'histoire critique.
8. Alain, Ruscio. (2019). Le PCA et les premiers temps de l'insurrection nationale, dans Les communistes et l'Algérie: Des origines à la guerre d'indépendance, 1920-1962, Paris: La Découverte.
9. Archives de la willaya d'Oran (1937). I4062, 5 Février.
10. Archives d'outre-mer (1938). C.I.E, Affaires Indigènes, Oran, Février.
11. Bulletin Mensuel D'information concernant le Département D'Oran, (1948, 1949) .
12. Charles, Robert, Agéron. (1980). « Communisme et nationalisme », dans L'Algérie algérienne de Napoléon III à de Gaulle, Paris, Sindbad.
13. Charles, Robert, Agéron. (1986). Le parti communiste Algérien de 1939 à 1943, Revue D'histoire.
14. Charles, Robert, Agéron. (1979). Histoire de l'Algérie contemporaine, Paris, Ed PUF.
15. Céline, Merangé. (2016). André Ferrat et la création du parti communiste algérien 1931-1936 in Histoire et Politique, n°2.
16. Deleperrie, De Bayac. (1972). Histoire du Front Populaire, Paris, Arthème Fayard ;
17. Dictionnaire Biographique, Mouvement ouvrier, Extrait de : <https://maitron.fr/spip.php?article252778>
18. Emmanuel, Sivan. (1976). Communisme et nationalisme en Algérie 1920 – 1962, Paris, Fondation nationale des sciences politiques.
19. Gilles, Manceron. (2018). Reconnaître et Définir la nation algérienne in les assises de la Soummam, Interventions au colloque International, Akfadou ,25- 26 aout 2016, éditions El Ibriz.
20. Houari, Touati. (1981). Dictionnaire biographique du mouvement ouvrier de l'Oranie, les militants syndicaux, cahiers de CDSH.
21. Jacques Jurquet. (1973). La révolution nationale algérienne et le Parti communiste français, vol. 4, Éditions du centenaire.

22. Larbi, Bouhali. (1947). En avant pour une Algérie libre, unie et démocratique, Rapport du 4^o congrès du PCA, 17-19 avril 1947, Alger, éditions Liberté.
23. L'union commerciale de l'Oranie. (1936). N°396, 1 Oct.
24. Oran Républicain. (1938). 17 Février.
25. Meynier Gilbert, (2010). L'Algérie révélée, La guerre de 1914-1918 et le premier quart du XXe siècle, 2010, Alger, El Maarifa.
26. Paul, Siblot, (1989). De L'anticolonialisme à l'antiracisme : De silences en contradictions, in Langages du politique, N°18.
27. Taleb, Bendiab. (1977). La formation des idées du socialisme scientifique en Algérie 1920-1936, in RASJEP, vol XIV, N° 2.
28. Sadek, Hadjères, (2004). Maurice Audin, la torture et les deux rives in l'Humanité.
29. Sadek, Hadjeres, (2012). un itinéraire militant dans le mouvement d'indépendance algérienne journée d'étude à la BDIC, Extrait de ; <https://www.socialalgerie.net/spip.php?article858>
30. Sakina, Demia. (1974). Pour une analyse critique du nationalisme Algérien, RASJEP, Vol XI.
31. Zenattci, (1936). Triste situation, Voix Indigène N° 391.